زواجنا من شقائنا

Notre Mariage est cause de nos Malheurs.

« لغة العرب » : هذه القصيدة تصور للقارئ حالة الزواج في العراق : يعهد الى «سمسارة» ان تختار البنت التي تراها مناسبة للشاب فتذهب من دار الى دار ومن موطن الى موطن لتبحث عن ضالتها على ماتراها في نظرها . فاذا وقع بصرها عليها واستحسنتها اخذت في مدح الشاب واعارته محاسن قد لاتكون فيه . واظهر اهل البنت للسمسارة حالة غير حالتهم المألوفة من جهة الثروة وصوروا لها اخلاقا في البنت قد لا يكون فيها ظلها . ثم تذهب السمسارة الى بيت الشاب وتطري البنت حتى تحملها من بور الجنان . وكل من الخطيبين لم ير صاحبه . وعلى هذا الوجه يجري الزواج فيتفق ان تتلاءم اذواق العروسين فيبقيا عائشين في الحب والائتلاف وهو قليل . اما في غالب الاحيان فان التنابذ يبدو حين تلاقي العين العين ثم يستحكم القلى في القلبين كلما عرف الواحد صاحبه ولا تكون الراحة إلّا بالافتراق وهذا ما يصوره لنا الاستاذ بقلمه السيال . على اننا نقول : ان هذه العادة عادة الوساطة لا ترى عند النصارى . وكانت جارية قبل نحو خمسين سنة عندهم وهي موجودة الى اليوم عند بعض اليهود :

١ — الخطبة

ذهبت تجوب مساكن الاحياء ... وتسير بالاوصاف والانبـاء
ذهبت ترود لغيرها بتشـاقل ... والزاد احمال من الاملاء
ومطيها كذنب شموس مهلك ... تطوي به دوما من الاطراء
ذهبت تبحث زوجة مأمونة ... وجميـلة وكريمة الاباء

دخلت بيوت الناس تظهر حاجة تفهي الحوائج شأن كل مرائي
حتى استقرت في بيت مؤنس ظهرت عليه اماثر الاندا
شعروا بمأربها فزادوا قدرها وبدوا لها في قمة العليا
كذب الى كذب ودعوى رئة وتفاخر بتقادم الاصدا
فكانهم في حلبة حكذبية يتسابقون بحكاذب الاثرا

هذي الخطوب تقدمت فخيرة مداحة لقريبها المتنائي
عدته في اخلاقه وطباعه ملحكا يعوم لطهره بسما
مالت الى اعماله ميالة فارتموه برتبة الامرا
ملك المشارق والمغارب ملكه والخادمون له من العظما
ثم انثنت بلسانها ترثارة حكي يعلموا بمبشر معطا
جنحت الى وصف الشجاعة عنده جعلته ليثا هاج في الظلما
فاذا جمعت خصاله وصلاحه تفيه يقرب ساحة النبآ
لو كان في هذا اللغو مكس اجتمت حتى يقال شيبة الحرما
ثم انبرت تعفي عن البنت التي قد نال اهلوها جديد رجا
فتوثبوا والبين خير مؤيد لكلامهم ذي الخبث والادوا
متذائبين على المديح بهمة حكرارة وبنية خشنا
مستعظمين جمال بنعم التي لم تقتبس قبسا من الاعلا
يطوون نهج الوصف دون تعثر طي البراق بليلة الاسرا
نعم الصناع بنت وخير فتية ام الجمال ومصدر اللآلا
بين الصواب وضده كف(١) ولم تزل العيون عدوة الكذبا

٢ — الملاك

فتعاهدو وجرى الملاك بسرعة وتآدبوا حكتآدب النبلا
ومشوا بامتعة الجهاز باطرق مشهورة لاذاعة الاشيا
واطالما سمحت لذاك «مزيقة» لبيان ابهة وعرض ثرا
اما الخطيب فلا يزال مسائلا عن ذات خطبته بكل دها

(١) مأخوذ من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب «بين البين والاذن عرض اربع اصابع».

يتسمع الاخبار كل هنيهة ... يتشمم الاوصاف من قرباء
فكأنه صياد أسماك رأى ... حبل الشباك مجررا في الماء
فيسدل له امل النجاح فجره ... مستبشرا او ظاهر اللالواء
قد انبؤوه بحزمها وجمالها ... لكنما الاذواق غير سواء
بئس الزواج زواجنا ولنعم ما ... سارت عليه عوائد الغرباء
ما ضر ان يتعارف الخلان في ... زمن اللقاء وجمع الاراء ؟
الشرع حلله لنفسح مآله ... ولكي يعاش بالفة وصفاء

٣ — الرفاف

زفوا العروس الى الخليل وانها ... دخلت فجوج حياتها العمياء
وكذاك زفوه اليها عاثرا ... لا آملا لمعيشة السعداء
يلقي حليلته بوجه كالح ... ويغير حب سابق بلقاء
زوجان قسرا لا جميعا ادركا ... بنا ولا ذهبا بروح الماء
والزوج شق النفس عند اولي الحجا ... في حسانة السراء والضراء
كيف التلاؤم والتباين ظاهر ... بين الحليلين بكل جلاء ؟
ام كيف يتفق التوافق بين من ... لم يحظ بالتعريف والاغراء
والحب لم يثبت بقلبة فجأة ... بل لا يكون بخرقة وغراء
وهو الذي يغزو القلوب بقوة ... لم تستكشفها حيلة العلماء
فيعيش فيها ان رآها رحيمة ... او يتليها خشية الايذاء

جاءت مصافحة اليدين بخفة ... فتناولت كفيهما بمساء
فتصافحا بالليل اي تصافح ... مستبطن بقية ورياء
هذا الزواج من الخلائق ملاكه ... ومن التباعد فاعتبر يا راني
بالليلة تبني الحياة بما بها ... فيك النهار وفيك كل شقاء
نظر الخطيب الى عروس لم يزل ... يرنو اليها من ورا الاثناء
ان اعجبته فظل محتاجا الى ... نسج التوافق من خيوط صفاء
واذا بدت صدفة عن ذوقه ... كانت الزواج سببا للفناء

ولطالما كتموا العروس واظهروا ... من اهلها حوراء ذات رواء

حتى يصيد الزوج صيدة ناجش ... ان التناجش دينن السفلاء
تلكم معيشتنا وذاكم داؤنا ... والشعب محتاج الى صلحاء
ايان نحسم دامنا بدوائنا ... فنضن بالفتيات والابناء
ويح ابن آدم ان عرته مصيبة ... طول الحياة تثور بالايراء
ويح ابن آدم ان تكن منجاته ... مهواته ومصادر البرحاء
فوم الزواج اذا اردت سعادة ... وصن الزواج بصائن العقلاء

بغداد مصطفى جواد

كحل الاخفاء Le collyre de l'Aorale

من المسائل الخرافية الشائعة بين عامة الناس المأخوذة من (السحر والشعبذة) مسألة (كحل الاخفاء) والكلمة مركبة من « الكحل » بضم الكاف واسكان الحاء والاخير معرب وهو اسم للدواء الذي يضعه الناس في عيونهم للزينة والتحسين . او لتخفيف شدة الالم والوجع العارض في « العيون » ومن « الاخفاء » مصدر اخفى الشيء اذا غيبه ويزعم العامة ان الانسان اذا اكتحل به اختفى عن العيون والابصار ولا يمكن احدا ان يراه فهو « يرى ولا يرى » ؟ وكأنه خالق السماوات يأكل مع الناس ولا يرون إلا اثر المأكول فارغا ويحدثهم في « الخلوة » ولا يحدثونه خوفا منه واجلالا لهيبته ويسمعهم كلامه ونغماته ويتعجبون اذا سمعوا صوته ولا يرون شخصه المتحجب عنهم ويخافون منه خوفا شديدا ويخوفون ابناءهم الصغار به كما انه اذا جن عليهم الليل يقسمون به على السارق الذي يطرق بيوتهم ان لا يمسهم بأذى واذا طرقها واحسوا به يهددونه « بصاحب الكحل » فاذا سمع السارق بصاحب الكحل ولى الادبار من دون ان يتناول شيئا من البيت .

ولم نعلم حقيقة الشيء الذي يكتحل به ويقال ان هذه المسألة كان يتقنها فريق من العلماء المتقدمين ويعلمونها تلاميذهم منهم العلامة الشهير الشيخ بهاء الدين العاملي محمد بن الحسين بن عبدالصمد المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ واظن ان هذه الوسيلة تلاشت معرفتها في هذا القرن لاننا لم نسمع احدا من علماء هذا العهد في العراق تعلم هذه « الشعبذة » من استاذ او علمها غيره .

النجف عبدالمولى الطريحي